مخاطر الاستشراق في فكر الأستاذ مالك بن نبي

THE DANGERS OF ORIENTALISM IN THE THOUGHT OF PROFESSOR MALIK BIN NABI

د. ربيع لعور*

ABSTRACT:

Malek Bennabi became interested in Orientalist studies. He was skeptical about their results, which are actively seeking to destroy Islam and blow its foundations. I have invested myself in this article to highlight this point. The risks could be summed up in: the consumption and waste of the nation's energies, numbing the minds of its individuals, giving our opponents the right to defense, runaway reaction, empowering Islam from the mistakes of Muslims, the control of the elite in Muslim countries, lead the governing policies For Malek Bennabi, the correct approach to avoid all these risks is to fill any intellectual gap that Orientalism can exploit for its sabotage projects. And this can only be achieved if we behave on the stage as actors and not as advocates.

KEYWORDS: Orientalism, Elite, Lawful interest, colonization, Islamic Thought.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق ، النخبة، الاستعمار، الفكر الإسلامي.

ملخص البحث:

اهتم الأستاذ مالك بن نبي بالدراسات الاستشراقية، ووقف من مخرجاتها موقف المشكك الذي يرى فيها سعيا حثيثا لهدم الإسلام ونسف ثوابته.

وقد جهدت في هذه الورقة أن أسلط الضوء على هذه الجزئية؛ حيث أمكن حصر هذه المخاطر في: استهلاك وتبديد طاقات الأمة، تخدير عقول أبنائها، إعطاء حق الدفاع لمخالفنا، رد الفعل الجامح، إلصاق أخطاء المسلمين بالإسلام، السيطرة على النخبة في

* أستاذ محاضر – أ – بقسم: الفقه والأصول.كلية: الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر.

البلاد الإسلامية، توجيه السياسات الحاكمة.

والمنهج الصحيح عند الأستاذ مالك بن نبي لتلافي هذه المخاطر جميعها هو شغل كل فراغ فكري يمكن للاستشراق أن يستغله لصالح مخططاته التخريبية؛ وهذا لا يتحصل في الواقع إلا إذا كنا في الساحة فاعلين لا منفعلين.

المقدمة:

لا يخفى على المتتبع لمسيرة الدراسات الاستشراقية مدى تأثيرها في العالم الإسلامي سلبا أو إيجابا، وقد اهتم كثير من المفكرين المسلمين بهذه الدراسات نقدا أو انتصارا؛ بحسب توجهاتهم وطبيعة تحصيلهم لعلوم الشريعة ومنهج قراءتهم لتراث المستشرقين، هذا التباين أورثهم نوعا من الاختلاف في زاوية الرؤية الدراسية للبحوث الاستشراقية.

ويعد الأستاذ مالك بن نبي – رحمه الله – (ت: 1393هـ/1973م) أحد عمالقة الفكر الإسلامي المعاصر، رغم أن جل كتاباته كانت بغير حرف الضاد، وقد تصدى الرجل لكثير من القضايا المعاصرة ومن جملتها الاستشراق ضمن بحث لطيف بعنوان: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، وهو ضمن كتابه القضايا الكبرى، كما أنه لم تخل كتبه في الجملة من إشارة ولو عابرة إلى الاستشراق وحملته، فقد كان من أشد المناوئين له، الداعين إلى محاربته، مع تركيزه على الجوانب السلبية العملية للاستشراق، وهذا ما دعاني إلى البحث في نظرته النقدية للحركة الاستشراقية في هذه الورقة التي وسمتها بعنوان: مخاطر الاستشراق في فكر مالك بن نبي.

والذي استحثني إلى بحث هذا الموضوع سببان رئيسان:

أولهما: منزلة مالك بن نبي في عالم الفكر الإسلامي المعاصر وأثره فيه.

والثاني: دراية الرجل بالاستشراق ومعرفته له عن كثب؛ إذ إنه كوَّنَ كثيرا من معارفه من نتاجهم؛ وخاصة في مراحله الأُوَلِ حيث أسعفته كتب الاستشراق المكتوبة باللغة الفرنسية أو المترجمة إليها.

وسأتناول هذا البحث وفقا لما يأتي:

المبحث تمهيدي: مدخل إلى علم الاستشراق:

على قلة ما كتبه مالك بن نبي عن الاستشراق إلا أنه لم يغفل بحثا تمهيديا مهما ينبني عليه ما بعده، ألا وهو تعريف الاستشراق، فالتعريفات في البحث العلمي من الأهمية بمكان؛ لأنها بمثابة المحددات لقبلة البحث.

وبن نبي ممن يميل إلى تنكب الاعتساف في النظر في اللفظ والحرص على ما يترتب عليه من عمل؛[1] من أجل هذا صَدَفَ عن البحث في أصل الاستشراق اللغوي هل هو من الشرق أو من إشراق الشمس وما إلى ذلك من التخريجات التي ذكرها الباحثون؛ وولَّى وجهه تجاه التعريف الاصطلاحي الذي لم يترسم فيه قانون المناطقة من التزام الجنس والفصل؛ فعرفه بتعريف ساذج؛ فقال: " إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية ".[2]

وهذا تعريف بَيِّنٌ واضح؛ فالمستشرق عند بن نبي هو الكاتب الغربي وليس المشرقي، وغير

---

[1] . علق الأستاذ بن نبي على قصة عمر τ المروية عن أنس τ: " أن عمر قال على المنبر : [**وفاكهة وأبا**] ثم قال : هذا الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا لهو التكلف يا عمر"؛ فقال: " وإننا لنرى عمر لا يقف إلا هنيهة عند الكلمة التي أوقفته .... فالمشكلة بالنسبة له، في هذه اللحظة، ليست في نطاق العلم، ولكن في نطاق السلوك .... إننا نرى في هذين الظرفين موقف العقل تجاه الاختبارات التي تعرض له، نرى في الظرف الأول كيف يتحرر العقل في المناخ الجديد من الشكليات، من سلطان المفردات الذي طالما عوق تقدم العلم ....".

القضايا الكبرى، ص 192.

[2] . القضايا الكبرى، ص 167.

تنبيه: من المفارقات العجيبة أن ينعقد في باريس سنة 1973 وهي سنة وفاة بن نبي آخر مؤتمر دولي للمستشرقين يحمل تسمية الاستشراق، حيث أطلقوا عليه تسمية جديدة وهي: " مؤتمرات العلوم الإسلامية الخاصة بمناطق العالم الإسلامي "، تلافيا لحنق كثير من المسلمين على هذا المصطلح، ومعلوم أن تغيير المصطلحات لا يغير من الحقيقة شيئا إلا عند ضعاف العقول، ولله در من قال:

ولو لبس الحمار ثياب خزٍّ ... لقال النّاس: يا لك من حمار

خاف أنه لا يقصد هنا حيزا جغرافيا بذاته بل هو يشير إلى ما اصطلح عليه الباحثون بانتساب الأمة الإسلامية إلى الشرق وانتساب بقية الأمم المتقدمة إلى الغرب ولو وقعت جغرافيا في الشرق كروسيا مثلا، وهو ما يطلق عليه مالك مصطلح: " محور (واشنطن- موسكو)، محور القوة، محور العلم، محور الحضارة ".[3]

ولحرص مالك على جني الثمار العملية في بحثه لفكر المستشرقين ألفيناه يقسمهم إلى طبقات باعتبارين مختلفين؛ أحدهما زماني والآخر منهجي باعتبار الاتجاه العام، فقد تغيَّا من خلال تقسيمه توجيه النظر إلى الطبقة التي أثرت في الفكر الإسلامي؛ لأن بحث غيرها يدخل في التاريخ ولا علاقة للمفكر المنافح عن أمته بدرسه.

من أجل هذا قسمهم وفقا للآتي؛ فقال: " ... ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى: طبقات، على صنفين:

أ- من حيث الزمن: طبقة القدماء .... وطبقة المحدثين ....

ب- من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها ".[4]

فأما طبقة القدماء فيرى مالك أنه لا أثر لها في واقع المسلمين؛ بينما لهم أكبر الأثر في الغرب حيث إنه على كواهل فكرهم قامت النهضة الأوربية، وعليه فلا حظ لنا في الاهتبال بهم، يقول مالك: " .... إن ما كتبوا كان قطعاً المحور الذي تحركت حوله الأفكار التي نشأت عنها حركة النهضة في أوروبا، بينما لا نرى لهم أي أثر فيما نسميه النهضة الإسلامية اليوم، فلنترك إذاً قضيتهم جانباً لمن تهمه دراسة التاريخ العام ....".[5]

بل يقرر في مقام آخر أن تأثر هذه الطبقة بالفكر الإسلامي كان أشد وأنهم اقتبسوا منه ما يفيدهم في نهضتهم الحديثة؛ غير أن الاستفادة كانت آثمة؛ فقد ألفينا بعض هؤلاء

---

[3] . دَوْرُ الْمُسْلِمِ وَرِسَالَتُهُ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِيْن، ص 10.

[4] . القضايا الكبرى، ص 167.

[5] . القضايا الكبرى، ص 167.

المستشرقين ينتحلون منجزات المسلمين، يقول بن نبي: " ولكن تجب هنا الملاحظة بأن هذا اللقاء الجديد وقع في ملابسات تاريخية لم يكن فيها العلم الإسلامي علماً حياً ينقل من أفواه الأساتذة مباشرة ومن كتبهم المعاصرة بل أصبح أشبه شيء بعلم الآثار يكتشفه الباحثون الأوروبيون بحكم الصدفة ويصدقون أولا يصدقون في نقله، ثم ينسبونه لأصحابه من العلماء المسلمين، أو ينسبونه لأنفسهم أو لأحد الأوروبيين، فهكذا كانت اكتشافات كبرى تنسب لغير أصحابها، مثل دورة الدم الصغرى للانجليزي وليام هرفي (William Harvey) بينما كان صاحبها، الطبيب المسلم ابن النفيس يعيش قبله بأربعة قرون ".[6]

هذا محصل كلامه عن الطبقة الأولى من المستشرقين، أما المحدثون فمفهوم كلامه وواقع حاله يشهد بأنه اهتم بهم وبدراسة شيء من أفكارهم؛ لانصباب اهتمامهم على الدراسات الإسلامية؛ بيد أنه يصنفهم وفق معيار دقيق وهو الاعتبار الزمني؛ فيرى أن المتأخرين منهم كانوا أكثر ملابسة للمسلمين من غيرهم، وهذا لأسباب موضوعية سنُلمِعُ إليها قريبا إن شاء الله تعالى.

هذا، ويرى مالك أن الاستشراق شر محض وأن حسناته – إن وجدت – فهي مغمورة في بحر من الخطيئة والجناية على الأمة الإسلامية، ومن خلال التتبع لكلامه وجمع ما تناثر منه يمكن حصر مخاطر الاستشراق في كتاباته فيما يأتي:

المبحث الأول: استهلاك وتبديد طاقات الأمة:

لا يشك عاقل أن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم يتجدد في كل زمن؛ قد تختلف وسائله ولكن تبقى أهدافه وغاياته واحدة؛ ومقارعة المستشرقين برد شبهاتهم وكشف عوارهم باب عظيم من أبواب الجهاد في سبيل الله مصداقا لقوله تعالى: [**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**](الفرقان: 33).

ولا يختلف علماء الإستراتيجية الحربية أن من أهم عوامل النصر في الحرب الحسية هو الاقتصاد في القوة؛ لأن الحرب صبر ساعة، وكل من يستنفد قواه ينهزم آخرا.

[6]. القضايا الكبرى، ص 170.

وقد تنبه الأستاذ بن نبي إلى خطورة الاستشراق من هذه الجهة؛ فهم ما فتئوا يثيرون الشبهات لاستهلاك طاقات العاملين للإسلام وما أقلهم في زمن الغربة؛ فيجاهدون في غير جهاد، ويتركون مواقع هي أحق بالمرابطة.

يقول بن نبي: " .... وهكذا يبقى الضمير الإسلامي في دوامة صراعه الباطن يسكنه أحياناً ما يكتب المادحون ويثيره أحياناً أخرى ما ينتجه المفندون، وقد استمر هذا الصراع منذ قرن في حلقة مغلقة، مستهلكاً أجدى الطاقات الفكرية في العالم الإسلامي من دون جدوى، من دون أي تأثير حقيقي على تطور العقلية الإسلامية، لم ينتج إلا بعض الصواريخ الأدبية الخلابة في تلك المؤلفات الجميلة التي لم يبق لها أي أثر مثل كتاب (روح الإسلام) للسيد أمير علي.

بحيث لو أننا حاولنا اليوم أن نجعل تقويماً لهذا الإنتاج نراه يعبر أحسن تعبير على تبذير طاقات فكرية ثمينة لم يحسن استخدامها ".[7]

وما أشار إليه الأستاذ حاصل فعلا؛ لأن غرض المستشرقين هو بث روح الانهزام في قلب المسلم، ولهذا فهم يكيلون التهمة تلو الأخرى لا يتقصدون حقيقة علمية ولا يطلبون الانتصاف في قضية، مرادهم شغل المسلمين عن جلائل الأعمال، وقد أشار مالك إلى هذا في قوله : " إن مشكلة الفرد المسلم بالنسبة للصراع الفكري، هي أن سلوكه يصبح في حكم الفعل الشرطي كما يحدده بافلوف، أي إنه لا يستطيع توجيه فكره وعمله باختياره طبقاً لمقاييس يحددها عقله ويعيها ضميره، والخطة التي يطبقها الاستعمار تهدف إلى هذه النتيجة النفسية عن طريق بافلوف.

..... وهكذا تستطيع المختبرات المختصة أن تصرف كل إمكاناتنا الفكرية والمادية إلى معارك وهمية، فنسمع فيها قعقعة السلاح ودوي الحرب، ولكنا نتصارع فيها مع أشباح تحركها أمام أبصارنا المسحورة يد خفية ماهرة، فحينما تصعد صرخة الانتصار في الفضاء، فإن ذلك يعني أن شبحاً قد اختفى عن المسرح حتى يتيح لنا الشعور بالانتصار عليه.

[7]. القضايا الكبرى، ص 181.

والتاريخ الإسلامي الحديث لا يخلو من هذه المعارك الوهمية، التي ننتصر فيها على الأشباح، كتلك المعركة التي خاضها جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده ضد أرنست رينان (Ernest Renan) وجبرايل هنوتو (Gabriel Hanotaux).

ويتبين من خلال بعض الموازنات الحديثة، أن عهد المعارك الوهمية ضد الأشباح لم ينقض في العالم الإسلامي، ..... أو بكلمة واحدة، إننا لا زلنا مستعدين لنصرف من الوقت والمال والفكر دون جدوى.

ويجب أن نضيف إلى هذا أنه كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا، فإن الاستعمار سوف يكلف الاختصاصيين في لعبة الظل، ليصور لنا معركة خيالية تصرف المسؤولين في البلاد الإسلامية عن المشاكل الحقيقية.

وهذا هو ما نشعر به أولاً، إزاء بعض المشاريع ذات الشأن، حينما يحاول من يقوم بها، أن يجند الأفكار والأقلام والأموال للدفاع عن الإسلام من هجمات المستشرقين.

فإذا بالاستعمار يبدي ارتياحه لمثل هذه المشاريع حينما يأتيه نبؤها، إن لم نقل إنه أوحى من بعيد بفكرتها، لأنها سوف تصرف الأموال والأقلام والأفكار عن الأشياء الجدية.

كما نشعر أيضاً أنه سوف يبدي قلقه، لو أن أحداً انفلت من تأثير سحره، وحاول أن يقول إن المشكلة ليست في الدفاع عن الإسلام، الذي يجد في جوهره حصانته من عطاء الله إليه، ولكن في تعليم المسلمين كيفية الدفاع عن أنفسهم بما في الإسلام من وسائل الدفاع ".[8]

الناظر في هذا النص بطوله يدرك تحسس الكاتب من الاستشراق إلى درجة عالية؛ حتى إنه يرى في كل مشروع صدٍّ للاستشراق خدمة لأهدافه؛ وفي تقديري أن هذا التصرف لا يخدم الإسلام بل يفتح الباب على مصراعيه للصوص العقول أن يختطفوها ويوظفوها ضد دينها ومصالحها، والأولى هو إعطاء هذه الحملات حجمها الحقيقي فلا ننام ملء جفوننا عنها، ولا نركض خلفها كمن يلاحق ظله.

[8]. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص 68.

وفي الجملة؛ فكلام الأستاذ مالك من زاوية الغلو في التتبع صحيح، ولم يشذ في رأيه هذا، بل هو أدب القرآن مع المكابر؛ قال الله: **[فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]** [آل عمران: 20].

أي أني معرض عن محاجتكم بعد تعنتكم في رد حجتي بالمكابرة،[9] ومقتضى هذه الآية هو تجنب مجاراة المتعنت في الجدل.

إن رأي بن نبي في الاقتصاد في الرد على أباطيل المستشرقين مبني على هذا الملحظ القرآني؛ وقد اهتدى إليه أيضا الأستاذ مُحَمَّد قطب وهو أحد من كابد الرد على شبهاتهم، وله في ذلك كتاب حافل، وقد صغى في خاتمة حياته إلى قريب من رأي بن نبي حيث يقول: " ثم إن التجربة قد دلتني على شيء آخر ... إن معركة الجدل التي يخوضها الشباب المسلم المتحمس مع أعداء الإسلام، لا تستحق في الحقيقة ما يبذل فيها من جهد.

إن الكثرة الغالبة من هؤلاء المجادلين لا تجادل بحثا عن الحقيقة ولا رغبة في المعرفة، وإنما فقط لإثارة الشبهات ومحاولة الفتنة ".[10]

المبحث الثاني: تخدير العقول:

تقدم معنا أن بن نبي يقسم المستشرقين باعتبار المدح أو القدح في الحضارة الإسلامية؛ وفي حين يتغنى فريق من العلماء بمدح هؤلاء يرى بن نبي أن المستشرقين المادحين أعظم ضررا على المسلمين.

ويعلل رأيه بأن المسلمين في العصور المتأخرة أخلدوا إلى الراحة واستعذبوا أحاديث القصاص الذين ينوموهم بأمجاد أسلافهم، وهو ما لم يخف على بعض المستشرقين فعزفوا على وتره واشرأبت أعناقهم بهذا العمل إلى تحقيق غرضين خبيثين:

الغرض الأول: إلهاء المسلمين عن القضايا الفاعلة: عزف الاستشراق على وتر الإلهاء

[9]. انظر: التحرير والتنوير (57/3).

[10]. شبهات حول الإسلام، ص 9.

عن القضايا المؤثرة، إما باستنفاد الجهد العقلي في الرد على الشبهات، فيتحصل من إسرافنا في تتبع عوارهم الوقوع في منعكس شرطي يحول دون استيفاء حق بعض الواجبات المنوطة بنا.

وإما بتخديرنا بمعسول الكلام عنها، وقد تفطن مالك لهذا المشروع الاستشراقي ومثل له بمثال واقعي؛ ففي مؤتمر للعمال الجزائريين بأوربا، تقرر توزيع كتيب يعالج مشكلة تخص العمال في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي؛ فتفطن الخبراء في الصراع الفكري إلى هذا؛ فوجهوا الدعوة إلى صاحبة كتاب: شمس الله تشرق على الغرب؛ التي اقتنصت إعجاب الحاضرين؛ فاستطاعوا شغل المؤتمرين عن مشكلاتهم الراهنة بأمجاد التاريخ الغابر، ليخلص مالك إلى القول: " ولا شك أن القصة تكشف عن جانبين: الجانب الذي يبرز حساسية الجماهير المسلمة لأمجاد ماضيها، والجانب الذي يكشف عن إمكان استغلال هذه الحساسية لإلفات تلك الجماهير عن حاضرها ..... ".[11]

إن هذا المثال ليبرز بأجلى صورة أثر التخدير الذي يلابس جسم الأمة حين سماعها أمجاد الآباء؛ فيشل حركتها عن العمل المؤثر.

ولا يحسبن أحدنا أن هذا الموقف السابق هو ما حمل بن نبي على وجهة نظره؛ بل هو زبدة تجربة استقرأها من واقع المسلمين المزري خلال سنين عددا؛ حيث يقول: " وأنا قد تجاوزت الستين من العمر، أستطيع أكثر من ذي قبل تقدير هذا العلاج للفكر وللضمير لا في النطاق الشخصي فحسب بل في النطاق الشامل للمجتمع الإسلامي طيلة أربعين سنة بعد تجربتي، فأرى أن أقرر هنا، مع الاختصار اللازم في هذا الغرض أن مساوئ طريقة هذا العلاج تظهر لي بالتالي أكثر من حسناتها وذلك لأسباب متعددة؛ فالسبب الأول: لأنه بديهي نلاحظه في الآثار النفسية لأسلوب التكوين، أي البيداغوجية، بالنحو الذي نشير إليه بمثل بسيط: إننا عندما نتحدث إلى فقير، لا يجد ما يسد به الرمق اليوم، عن الثروة الطائلة التي كانت لآبائه وأجداده إنما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر

[11] . القضايا الكبرى، ص 176.

يعزل فكره مؤقتاً وضميره عن الشعور بها، إننا قطعاً لا نشفيها.

فكذلك لا نشفي أمراض مجتمع بذكر أمجاد ماضيه، ولاشك أن أولئك الماهرين في فن القصص قد قصوا للأجيال المسلمة في عهد ما بعد الموحدين[12] قصة ألف ليلة وليلة وتركوا بذلك إثر كل سمر نشوة تخامر مستمعيهم حتى يناموا فتنغلق أجفانهم على صورة ساحرة لماض مترف.

ولكن سوف تستيقظ هذه الجماهير في الغد فتنفتح أبصارهم من جديد على مشهد الواقع القاسي الذي يحيط بها في وضعها الذي لا تغبط عليه اليوم ".[13]

الغرض الثاني: تمرير السموم القاتلة: استحكمت عقدة النقص في فئام من المسلمين؛ وتولد عنها انبهارهم بمدح أعدائهم غافلين عما وراءه؛ فحالهم أشبه بالطير الذي أعماه حُبُّ الحبِّ في الشرك عن تبصُّر الخطر الذي سيُلمُّ به، فتشربت قلوبهم هذا المدح فأفضى إلى شلل عقلي؛ عدموا معه القدرة على التمييز؛ فتسنى لعدوهم أن يبث فيهم من أقذاره ما شاء.

يقول مالك في هذا الصدد: " ولكننا على عكس ذلك نجد للمستشرقين المادحين الأثر الملموس الذي يمكننا تصوره بقدر ما ندرك أنه لم يجد في نفوسنا أي استعداد لرد الفعل حيث لم يكن هناك، في بادئ الأمر، مبرر للدفاع الذي فقد جدواه، وكأنما أصبح جهازه معطلاً لهذا السبب في نفوسنا...." .[14]

وحتى لا نلقي الكلام على عواهنه؛ سنمثل بأمثلة واقعية لما ندعيه؛ فهذا غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) الذي شهد شهادة حق في تسامح المسلمين مع غيرهم؛ فقال: " فقد ترك العرب المغلوبين أحرارا في أديانهم ... ولم ينتشر القرآن بالسيف بل انتشر

[12] . يقسم بن نبي المجتمع إلى ثلاث مراحل: ما قبل الحضارة، الحضارة، ما بعد الحضارة، والمجتمع الإسلامي يعيش بعد سقوط الموحدين المرحلة الثالثة. انظر: مشكلة الأفكار، ص 35.

[13] . القضايا الكبرى، ص 172.

[14] . القضايا الكبرى، ص 168.

بالدعوة وحدها". [15]

لم يفته أن يتهم الرسول ﷺ بأنه تلقى علمه عن أهل الكتاب من قبله؛ فقال: " وتقول القصة إنه سافر مع عمه إلى سورية؛ تعرف في بصرى براهب نسطوري في دير نصراني، وتلقى منه علم التوراة .... وتهيأ له السفر إلى سورية بذلك، والاجتماع مرة ثانية بالراهب الذي أطلعه على علم التوراة سابقا ".[16]

بل إنه على حد رأيه اقتبس من الأديان الأُخَرِ ما يستهويه؛ يقول غوستاف: " وكان من مقاصد مُحَمَّد أن يقيم دينا سهلا يستمرئه قومه، وقد وفق لذلك حين أخذ من الديانات الأخرى ما يلائمهم ". [17]

كما اتهم الرسول بشغف مفرط بالنساء؛ فيقول: "وأطلق مُحَمَّد العنان لهذا الحب حتى إنه رأى اتفاقا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية !؛ فوقع في قلبه منها شيء !؛ فسرحها بعلها ليتزوجها مُحَمَّد فاغتم المسلمون لذلك !؛ فأوحي إلى مُحَمَّد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميا آيات تسوغ ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت !".[18]

وهذا غيض من فيض، وقد نقلت مثل هذا الهراء وأنا أتلمظ غيظا؛ لأنَّ الوسائل لها أحكام المقاصد؛ فكثير من الكتاب يدندنون بكلام غوستاف ويتيهون به هياما، ولو أنعموا النظر فيمن نقلوا عنه لتورعوا عن ذكره إلا لضرورة تستباح معها الجيف!؛ لأن مدحه ممزوج بمثل هذه الترهات التي يغني عن إبطالها حكايتها.

وللأسف قد وقع أستاذنا فيما حذر منه؛ فقال: " ولا شك أن المستشرق سيدييو (**Sedillot**) والعلامة غسطاف لوبون (Gustave Le Bon) يتسمان في إنتاجهما بميزة العلم الخالص والاجتهاد المخلص للحقيقة العلمية !".[19]

---

[15] . حضارة العرب، ص 134 وقد أورد شهادات لمستشرقين تتضمن قريبا مما ذكر، ص 137.

[16] . حضارة العرب ص 108 .

[17] . حضارة العرب ص 122

[18] . حضارة العرب ص 116

[19] . القضايا الكبرى، ص 169.

ولست أجد لهذا محملا إلا على قول طرفة بن العبد:

أبا مُنذر أفْنيت فاستَبْق بعضَنا ... حنانَيْك بعضُ الشرّ أهونُ من بَعض.

أما مدحه مطلقا؛ فلا ونُعمى عين.

وأزيد من الشعر بيتا؛ هذا توماس آرنولد (Thomas Arnold) المشهور عند بعض الكتاب الإسلاميين باعتداله يغمز الفتوح الإسلامية من طرف خفي؛ فيقول: " ويعتبر توسع الجنس العربي على أصح تقدير هجرة جماعة نشيطة قوية البأس، دفعها الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدبة، وتجتاح بلادا أكثر خصبا كانت ملكا لجيران أسعد منهم حظا !".[20]

هذا، ولو لم يكن إلا تكذيبهم للنبي لكفى ذما لهم؛ فلو صدقوا في مدحهم لدخلوا في دينه، وهذا ما يجعل اللبيب دائما متحرزا من مديحهم المزعوم.

وصفوة القول أن هذه النقول تظهر بجلاء خطورة المتصنعين للمدح بقصد الطعن، وهو ما قرره الأستاذ مالك بعد مكابدة مريرة مع الاستشراق، ووقوف على خطورة هذه الفئة على العقل المسلم؛ والمتأمل فيما تقدم من كلامه إذا عرضه على واقع كثير من المسلمين يدرك أن الرجل لم يَعْدُ الحق قيد أنملة، وأن المستشرقين توسلوا من خلال المدح إلى مثل هذه الأغراض الخسيسة، وهو ما وافقه عليه الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني حين قال: " فقد علمتنا الملاحظة والتجربة الطويلة أن كيد هؤلاء عظيم، قد يدخل على أكثر أهل العلم يقظة وحذرا ".[21]

المبحث الثالث: إعطاء حق الدفاع لمخالفنا:

الدفاع عن الدين واجب شريف لا يطلع به إلا الأخيار اقتداء برسول الله ﷺ ، ذلك أنه نوع عظيم من أنواع الجهاد، بل هو أول جهاد افترض على النبي ﷺ في قول الله تعالى : [**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**] [الفرقان: 52].

[20] . الدعوة إلى الإسلام، ص 63.

[21] . أجنحة المكر الثلاثة، ص 143.

ومن المزالق الخطيرة أن يوكل الدفاع عن الإسلام إلى المستشرقين، وهذا ما ارتكس بعض الكتاب في حمأته، فأوكلوا الأمر إلى غير أهله، وأعطوا القوس غير باريها.

وقد اعترف الأستاذ بن نبي بأنه ممن سلك هذا السبيل في بدايات حياته العلمية؛ فقال: " إن الجيل المسلم الذي أنتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بالوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية ".[22]

ولكنه تدارك الأمر بعدها ونبه إلى خطورة هذا المسلك؛ فقال " بالتالي يتبين لنا أن الإنتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شراً على المجتمع الإسلامي .... بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعاً ولكن دون هوادة، لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نسلم لغيرنا حق الإصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب !". [23]

ومرد هذه المراجعة إلى أن دفاع المستشرقين مبطن؛ فظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبلهم العذاب؛ وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في مبحث سابق، ونزيد الأمر تقريرا من جهة أخرى وهو أن جل المستشرقين أحد ثلاثة؛ فإما يهودي أو قسيس أو استدماري،[24] وإذا كان حالهم على ما وصف؛ فهل يرجى من الزُّنْبُور العسل ؟!

ولو أنعمنا النظر في هذه الوكالة من جهة قانون الجدل؛ لألفيناها انحرافا منهجيا خطيرا؛ فكيف تستدل بمن لا ترى كلامه حجة!؛ لأنك معترف بفساد حجتك، اللهم إلا أن يكون من قبيل الإلزام للخصم وهو في هذا المقام لا يلتزمه؛ لأنهم يدعون حرية التعبير وتنكب التزام آراء الرجال.

ولست أرى فائدة لهذا العمل الذي تردينا فيه إلا محاولة يائسة لإقناع أسافل من قومنا

[22] . القضايا الكبرى، ص 169.

[23] . القضايا الكبرى، ص 182.

[24] . انظر: الاستشراق والمستشرقون، ص 73.

استعظموا كلام العلوج؛ لأن شادية الحي لا تطرب ؟!.

نعم، من المستشرقين من تجرد في طلب حقائق بعض القضايا، ومع هذا فقد كتبوا من أجل مصالحهم القومية لا لأنفسنا، يقول بن نبي: " ولا شك أن المستشرقين المادحين .... لا شك أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية، وللتاريخ، وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي ... ".[25]

المبحث الرابع: رد الفعل الجامح:

يرى الأستاذ بن نبي أن فئة المستشرقين القادحين في الدين ولَّدوا بعض الظواهر الإيجابية وفقا للقانون الفيزيائي المعروف أن لكل فعل رد فعل مساو له في القوة معاكس له في الاتجاه، فقد انتفض جمع من علماء المسلمين إلى مواجهة الاستشراق؛ بيد أن بعضهم جاء يطب زكاما فأحدث جذاما، وحصل الخلل من جهتين:

الأولى: هو أن أعداءنا توقعوا ردة فعلنا؛ فصاروا يتحكمون فينا بما يحقق مصالحهم، فيستثيروننا وقت ما شاءوا وفي أي مكان شاءوا، فانقلبنا بين أيديهم كالثور الإسباني الذي يهيجه رؤية المنديل الأحمر، وقد سبقت الإشارة إلى هذا ضمن مبحث سالف.

والثانية: هو أننا خالفنا في ردود أفعالنا قانون الفيزياء؛ فتولدت انحرافات علمية غير منضبطة يقول عنها الأستاذ مالك: " وحاصل الأمر أن الصدمة التي حصلت للضمير الإسلامي في القرن التاسع عشر وفي هذا القرن، تجاه الحضارة الغربية، كانت محسوسة في عالم أفكارنا على وجه الخصوص، وفي مجال الأفكار العلمية بالذات، بحيث كان لهذه الصدمة أثرها حتى في ميدان تفسير القرآن الكريم، ولا شك أن عملاً جباراً مثل تفسير طنطاوي جوهري، ذلك التفسير الذي لا نجد فيه كثيراً من الجدوى، يعزى قطعاً إلى هذا التأثير العلماني على أفكارنا، مع الملاحظة أنه يعبر في نفس الوقت على ظاهرة التكديس، تكديس المعلومات طبعاً، بحيث يصبح هذا العمل الشاق كله أقرب إلى دائرة معارف منه إلى تفسير القرآن، كما أنه يعبر عن ظاهرة جديدة، هي تلك العلمانية العقيمة التي ليست

[25] . القضايا الكبرى ص 168.

بالنسبة للفكر الإسلامي إلا عملية تعويض في الميدان الذي شعر فيه أكثر بتحدي الحضارة الغربية ".[26]

فأنت ترى أن انسياقنا لدحض اتهام العقل المسلم بالجهل والتخلف من خلال بيان نظريات علمية تضمنها القرآن الكريم؛ أفضى بالعلامة طنطاوي جوهري إلى تكلف تفسير علمي لآيات القرآن بإسقاطها على معارف تجريبية حديثة، وهذا مع ما فيه من تكلف وإصابة شيء من الحق تترتب عليه مفاسد تزيد الخرق على الراقع.

وحتى لا يكون كلامنا مرسلا سأمثل لهذا بمثال واحد في تفسيره، حيث قال: " قوله: **[وَمَا بَيْنَهُمَا]** دخل في ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العالم المسمى: الآثار العلوية، وهو من علوم الطبيعة قديماً وحديثاً، وقوله **[وَمَا تَحْتَ الثَّرَى]** يشير لعلمين لم يُعرفا إلا في زماننا، وهما علم طبقات الأرض، المتقدم مراراً في هذا التفسير، وعلم الآثار، المتقدم بعضه في سورة يونس؛ فالله هنا يقول: **[وَمَا تَحْتَ الثَّرَى]** ليحرص المسلمون على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى ".[27]

هذا المنزلق لا يزال بعضهم يتدحرج فيه إلى يوم الناس هذا باسم الإعجاز العلمي، ولست أنكره باعتبار المبدأ، ولكنني أنكر التطرف في استعماله؛ فقد نجم عن الغلو فيه هنات تنسب بعدها للإسلام لا لأصحابها، ومع الأسف أن ما يصفو منه صحيحا يكتب بلسان العرب، والأولى أن يكتب بلغات أُخَرَ ليكون حجة على غير المسلمين.

ومع هذا فمالك يرى أن الاستشراق القادح من هذه الزاوية أقل ضررا من المادح؛ لأنه استثار همَّتنا لبيان علمية الإسلام، وهو ما يدعو: "إلى طرح مشكلة الإسلام والعلم في صورة جديدة تتماشى أكثر مع سمو الدين ومنطق العلم، بحيث لا نصبح نبحث في الآيات الكريمة هل ذكر فيها شيء عن غزو الفضاء أو تحليل الذرة، وإنما نتساءل هل في روحها مما

[26]. القضايا الكبرى، ص 179.

[27]. الجواهر في تفسير القرآن (64/10).

يعطل حركة العلم، أو على العكس ما يشجعها وينميها ".[28]

وزبدة القول أن رد الفعل مشروع مع التزام المنهج العلمي؛ حتى لا نستثار عاطفيا فقط، بل نجمع بين العقل والعاطفة، فنتلافى إتاحة فرصة لعدونا ليستخف عقولنا؛ فنقع فيما حذر الله تعالى منه: [**وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**] [الروم:60].

المبحث الخامس: إلصاق أخطاء المسلمين بالإسلام:

من أهم أهداف الاستشراق تصيد أخطاء المسلمين وإضافتها إلى الإسلام، وقد قرر الإسلام منذ أول يوم أن احتمال الخطأ هو الأصل في البشر، ولكنه دعا إلى تلافي مخاطره بالتوبة النصوح، بيد أن دائرة الخطأ اتسعت كلما تباعد العهد بالعصر النبوي وازداد أكثر فأكثر في العصور المتأخرة كنتيجة حتمية لتنكب المسلمين عن هدي رسولهم صلى الله عليه وسلم.

إن نصوص الشريعة الإسلامية تقرر أن الإسلام حجة على كل أحد وليس كل أحد حجة على الإسلام؛ فكل تصرف مخالف لمقتضيات الإسلام فتبعته على صاحبه، وشاهد هذا قَول رَسُول اللَّهِ ﷺ: " ... **وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا ؟** ".[29]

هذا الحديث النبوي برهان ساطع على إمكان خطأ حكم المجتهد ومخالفته شرع الله تعالى، ومن ثم نُهِيَ الصحابي عن حمل الناس على حكم الله تعالى؛ لأنه قد يخالفه بتأويل؛ وبناء عليه فتصرف المسلم يحسب عليه إذا خالف الوحي، وإذا كان هذا حال المجتهد الملم بعلم الشرع ومقاصده؛ فما بالك بعوام المسلمين ناهيك عن فساقهم.

إن المستشرقين دأبوا على الاصطياد في الماء العكر؛ فحشروا أنوفهم فيما حصل بين المسلمين من فتن وقلاقل، ووجدوا في ذلك مادة دسمة للوقيعة في الإسلام، ويمكن التمثيل

[28]. القضايا الكبرى، ص 182.

[29]. رواه مسلم في الجهاد والسير، رقم: 1731، عن بُرَيْدَةَ بن الحصيب τ مرفوعا.

لهذا برسالة الدكتوراه لماسينيون (**Mssignon**) التي وسمها بعنوان: (آلام الحلاج شهيد التصوف !) التي تربو صفحاتها على ألف صفحة، في حين أنه مسؤول سام في دولة فرنسا الاستدمارية التي سفكت في سبع سنوات فقط مليون ونصف المليون من الشهداء في الجزائر وحدها!.

إن تحميل الإسلام أخطاء بعض المسلمين خلاف المنهج العلمي الصحيح، وقد أشار بن نبي إلى هذا ضمن حديثه عن فعالية المسلم، فمع إقراره بانزلاق المسلم المعاصر في هذه الهاوية إلا أنه حذر من نسبة الانحراف إلى الإسلام: "ونحن نعلم إذن أنه إذا كنَّا نحاكم انعدام فعالية ما في سلوك المسلم؛ كما في الحالتين التاريخيتين اللتين أشرنا إليهما، فإن علينا أن نحاذر وضع ذلك كلّه في حساب الإسلام.

مع أن هذا هو الخطأ الأكثر شيوعاً عند المستشرقين وعلماء الاجتماع الغربيين الذين يدرسون العالم الإسلامي المعاصر ".[30]

فانظر كيف أن هذا الخطأ المنهجي توارد عليه المستشرقون، وليس خطأ فرديا يحمل على صاحبه، وهذا طبقا لاستقراء بن نبي لما كتبه المستشرقون.

إن بن نبي كان واضحا تجاه أمته فقد عني بأمراضها الحضارية التي أفضت إلى تقهقرها بعد تقدم، ولكنه دائما يشنع على المستشرقين إلصاقها بالإسلام، ومن ذلك أيضا قوله: " فنحن نرى إذن (أجنة) أخلاق اجتماعية وقواعد للسلوك المؤثر الإيجابي تسقط في غمار الإهمال والنسيان؛ لأن العالم الإسلامي– لا الإسلام– هو الذي أهملها وأغفلها.

وكل هذا الجانب الذي يمكن أن نسميه (المنطق العملي) في الإسلام، وهو الذي يكون فصلاً كاملاً من فصول الثقافة الإسلامية، لم يتطور في حياة المسلمين، وإذن فلو أننا تحدثنا اليوم عن قدر لا بأس به في السلبية في المجتمع الإسلامي فلا محل إطلاقاً لأن نرجع سببها إلى الإسلام –كما اعتاد ذلك بعض المستشرقين– ولكن إلى تطبيقه التاريخي ".[31]

[30] . مشكلة الأفكار، ص 158.

[31] . فكرة الإفريقية الآسيوية، ص 230.

وصفوة القول أن الاستشراق عزف على وتر الأخطاء الحضارية لبعض المسلمين ونسبها إلى الإسلام؛ وهو ما ورثه عنهم الأذناب فهرطقوا بخزعبلاتهم، وما أتوا بجديد.

المبحث السادس: السيطرة على النخبة في البلاد الإسلامية:

من أعظم مقاصد المستشرقين استحداث نخبة أو احتوائها لتتولى بدلا منهم إدارة دواليب النظم العلمية والتربوية ليسلس بعدها قياد الأمة سياسيا.

وترجع بواكير هذا المشروع إلى بداية الحملة الفرنسية حين اقترح المستشرق فانتور (Venture) على نابليون (Napoléon) إيفاد جمع من وجهاء مصر إلى فرنسا ليتعرفوا على مدنيتها، ويذوقوا من حلوائها، ويقترن بعضهم بحسانها، ثم ينقلبون إلى مصر ليكونوا أصابعهم فيها.

لكنَّ مُحَمَّد علي باشا والي مصر حباهم ما هو أفضل من ذلك؛ فقد انتخب لهم غلمانا أغمارا حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، فتم للمستشرقين ما أرادوا؛ فكان هذا الابتعاث أول فيروس لسرب من الجاحدين يحقن به جسد الأمة؛ ثم توالدوا وتكاثروا حتى صار الإسلام غريبا بين أهله. [32]

إن مالكا وإن فاته الحديث عن خطر هذه البعثات؛ لأنها معلومة، فلم يفته أن يوجه شباة قلمه إلى أثر الاستشراق داخل بلاد المسلمين؛ وكيف تعاملت معه بعض النخب العلمية ؟!؛ فذكر أن قسما منهم استسلموا لهذا المد الغربي، بل وافقوهم حتى في المظاهر الجوفاء، فقال: " لقد أحدثت هذه الصدمة، عند قبيل من المثقفين المسلمين، شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية، حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولوا مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، وألقوا أسلحتهم في الميدان، كأنهم فلول جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري يحتدم بين المجتمع الإسلامي والغرب، فأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاته في التزيي بالزي الغربي، وينتحل في أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع ليس إلاّ مظهراً لا شيء وراءه من القيم الحضارية الغربية

[32] . انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص 140.

الحقيقية ".[33]

وقد بَيَّنَ مالك أن من أوائل من انتسب إلى هذا الفريق المؤسسون لجامعة عليكرة في الهند وهذا لا يستنكر منه، لكن الأعجب هو إدراجه للأفغاني ضمن هذا التوجه؛ وإليك نص كلامه: " وبدأت تظهر في الأفق الثقافي الإسلامي الفكرة الجديدة التي حركت بعد حرب السباي (1858) بالهند، تأسيس جامعة عليكرة، وحركت، من جانب آخر وضد هذا المشروع، باعث النهضة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغاني.

وهكذا أصبح الفكر الإسلامي على إثر الصدمة الثقافية التي اجتاحته وما تسبب عنها من مركب نقص، ينحاز إلى معسكرين: أحدهما يدعو لتمثل الفنون والعلوم والأشياء الغربية- حتى اللباس- والآخر يحاول التغلب على مركب النقص بتناول حقنة اعتزاز يعلل بها النفس.

فالتيار الأول كان من الناحية العقلية، والسياسية والاجتماعية له أثره في لونين، اللون الذي يتمثل في تأسيس جامعة عليكرة، واللون الذي يتمثل في دعوة جمال الدين الأفغاني مع تباين الأهداف وتشابه الوسائل التي كانت تفرض على العالم الإسلامي في كلتا الحالتين تطوراً يؤدي به إلى (الشيئية) و (التكديس) ".[34]

إذن، ظهر مدرك بن نبي في هذا الإلحاق؛ فالأفغاني وإن ادعى ظاهرا الحفاظ على النسبة الإسلامية إلا أنه وقع فيما وقع فيه غيره وهو تعليل النفس بالأشياء لا بالأفكار، يقول بن نبي: " يجب أن نقف عند هذه الحقيقة، أن ما ينوب مجتمعاً ما في منعطفات التاريخ الخطير، ليس من قلة أشيائه ولكن من فقر أفكاره ".[35]

أما الفريق الثاني فحاول مقارعة هذا المد ومدافعة مركب النقص الذي استحكم في الأنفس ولو بوسائل تافهة وخاطئة منهجيا بما في ذلك الاستشهاد بكلام المادحين من المستشرقين؛

[33] . القضايا الكبرى، ص 170.

[34] . القضايا الكبرى، ص 170.

[35] . القضايا الكبرى، ص 179.

وهذا هو بيت القصيد؛ فأصحاب هذا التوجه وجدوا ضالتهم فيما بذله بعض المستشرقين من معسول القول، يقول مالك: "وأما التيار الثاني- وهو موضوع حديثنا لاتصاله بإنتاج المستشرقين- فإنه وجد منحدره الطبيعي في أدب الفخر والتمجيد الذي نشأ منذ القرن التاسع عشر على أثر ما نشره علماء مستشرقون، أمثال دوزي (Dozy) عن الحضارة الإسلامية ".[36]

ويرى بن نبي أن هؤلاء لا يبعدون كثيرا عن أولئك؛ لأنهم نخب وقعت في أسر المستشرقين؛ فقط تفاوتوا في التبعية بين كونها مطلقة أو مقيدة، فيقول: " ولا يمكننا، على أية حال، أن نجعل بين التيارين فاصلاً قاطعاً، لأن الثاني منهما لا يكون مدرسة مستقلة عن الأول، بل نجده يخامر الفكر الإسلامي على العموم ويتخلل اتجاهه العام كفكر يبحث عن حقنة اعتزاز للتغلب على المهانة التي أصابته من الثقافة الغربية المنتصرة، كما يبحث المدمن عن حقنة المخدر التي يستطيع بها مؤقتاً إشباع حاجته المرضية ".[37]

ولكن بن نبي وإن استهجن هذا المسلك في آخر عمره، بَيَّنَ أن هذا الصنف من المستشرقين لم يخل مدحهم من مصلحة في خضم مفاسده المذكورة، وخاصة في الزمن الذي كشفت حرب الاستشراق فيه عن ساقها؛ فكانت ملاذا للمقهورين، ومثابة لمن أراد الاستمساك بالدين؛ وكان بن نبي ضمن من أسعفهم ذلك الجهد في الحفاظ على شيء من الثوابت.[38]

وفي الجملة؛ فإننا نتلمس من خلال شهادته أن كثيرا من نخبنا الفكرية وقعت ردحا من الزمان في ربقة الرق والاستلاب الحضاري للمستشرقين.

---

[36] . القضايا الكبرى، ص 171.

[37] . القضايا الكبرى، ص 171.

[38] . يقول الأستاذ مالك: " ... إنني على سبيل المثال، قد اكتشفت وأنا بين الخامسة عشر والعشرين من العمر، أمجاد الحضارة الإسلامية في ترجمة دوسلان (Doslan) لمقدمة ابن خلدون، وفيما كتب دوزي (Dozy) عنها وأحمد رضا بعد الحرب العالمية الأولى، وإنني على إدراك تام لما أدين به لهذه المطالعات ". القضايا الكبرى، ص 172.

نعم، المستغربون كانوا ولا زالوا أشد خطرا؛ لفساد منهجهم وخبث طويتهم، وتنكرهم لثوابت الأمة، من أجل هذا نراهم صدى لما يردده علوج الاستشراق، وقد ترصد مالك لبعض هؤلاء مبينا أثر الاستشراق فيهم، فتكلم عن نموذجين، أحدهما مشرقي والآخر مغربي:

فالأول: هو الدكتور طه حسين المصري الذي منح عدة شهادات علمية من فرنسا!؛ وهذا ما يقودنا إلى بيان حرص المستشرقين على اصطياد أذنابهم بالشهادات الفارغة.[39]

هذا الشخص أبى إلا أن يكون لصا لخطيئة مرجليوث (Margoliouth) ونسبتها إلى نفسه؛ فلاك في كتابه ما نفثه ذاك المستشرق، يقول عنه مالك: " .... وأصدق مثال على ذلك بلا جدال، الفرض الذي وضعه المستشرق الإنجليزي مرجليوث (Margoliouth) عن الشعر الجاهلي، فقد نشر هذا الفرض في تموز عام 1925م في إحدى المجلات الاستشراقية؛ وفي خلال عام 1926م نشر طه حسين كتابه المشهور: في الشعر الجاهلي، فهذا التسلسل التاريخي معبر تماماً عن تبعية أفكار بعض قادة الثقافة العربية الحديثة للأساتذة الغربيين " .[40]

فهذه الإشارة بيان لأثر المستشرقين في النخب العلمية التي بُوِّئَت مقاليد هامة؛ فلا يخفى أن طه حسين قد تقلد عدة مناصب رفيعة؛ فهو عميد الأدب العربي!، وصاحب جائزة نوبل في الآداب!.

---

[39] . قال أحد المستشرقين: " لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماما، ولكن الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية، فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل من الشرق ولا سيما من البلاد الإسلامية، وتمنحهم المنح الدراسية حتى تبيع لهم الشهادات بأي سعر ليكونوا المبشرين المجهولين لنا .... إن اعتقادي لقوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالا تاما جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات، واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام ". أجنحة المكر الثلاثة، ص 152.

[40] . الظاهرة القرآنية، ص 56، وانظر: القضايا الكبرى، ص 168.

والثاني: هو الدكتور عبد الله العروي المغربي، الذي بيَّنَ بن نبي تأثره بأساتذته المستشرقين؛ فقال: " ... ولا شك أن كتاب: الإيديولوجيات العربية في محضر الغرب، الذي ظهر منذ بضعة أشهر بتقديم مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) لا شك أن هذا الكتاب المبني على منطق سفسطائي، ذو صلة متينة بهذا التيار، وأن صاحبه التلميذ المراكشي لصاحب المقدمة، من هذه الشجرة التي يجوز لنا أن ننسب لها أيضاً من تلامذة المستشرقين حتى أولئك الأبرياء الذين يضعون أقدامهم عن غير شعور في ثقافة الغرب بل في سياسته أيضاً ويتقدمون هكذا بأنصاف الحلول لأنصاف المشكلات التي يعتقدونها المشكلات الرئيسية للعالم الإسلامي غير أنهم يختلفون بحسن نواياهم عن الآخرين، أولئك الآلات المسخرة بين أيدي اختصاصيي الصراع الفكري، السائرين على أثر أساتذتهم الغربيين، لا يختلفون معهم إلا في مهارة الأسلوب والتزويق في الصيغة، ويلتقون مع أساتذتهم في الانتقاص من سوابق الفكر الإسلامي، ولكن يمتازون في إحاطة مستقبله بالريبة والإبهام بتلك الثرثرة التقدمية مثل صاحب كتاب الإيديولوجيات العربية في محضر الغرب الذي أشرنا إليه ".[41]

وبالجملة؛ فقد حرص المستشرقون على تشكيل نخب تنوب عنهم في تخريب الدين، وأغدقوا عليهم الألقاب والشهادات بسخاء شريطة أن يكونوا نقلة أمناء لمؤامراتهم. [42]

المبحث السابع: توجيه السياسات الحاكمة:

لا ينكر عاقل دهاء المستشرقين وبعد نظرهم في إفساد واقع المسلمين؛ فقد استفرغوا جهدهم لبث ثقافة فاسدة بين المسلمين؛ وتشكيل نخبة نافذة وَفقها؛ فلما أخذوا بنواصيهم جعلوهم بوصلة التقدم والتحضر في العالم الإسلامي؛ ثم جعلوهم الموجهين للسياسات أو تشكيل القيادات.

وشاهد هذا أننا نتلمس زيادة ملحوظة في حدة الاستشراق في الدول الاستدمارية خاصة

[41]. القضايا الكبرى، ص 181.

[42]. انظر: الظاهرة القرآنية، ص 54.

إبان مرحلة الاحتلال؛ وتباينا حتى في المقاصد؛ فإذا كانت طلائع المستشرقين تقصدت تغييرا ثقافيا؛ فالمتأخرون منهم تبدلت مقاصدهم إلى سياسية صرفة خادمة للاحتلال؛ يقول مالك: "..... وفي المرحلة العصرية والاستعمارية فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي .... ".[43]

هذا التقرير من مالك مبني على استقراء لواقع المستشرقين لا يختلف فيه معه منصف؛ وممن وافقه عليه الدكتور مصطفى السباعي، وذلك عقب رحلته الأوربية سنة 1956م التي طاف فيها على كثير من الجامعات الأوربية وتحدث إلى كثير من أعيان المستشرقين؛ ثم خلص إلى جملة من النتائج يعنينا منها اقتران الاستشراق بالاستعمار؛ فقد لحظ أن حدة الاستشراق تزيد في الدول الاستعمارية أكثر من غيرها كالدول السكندنافية مثلا.

وقد حظي المستشرقون بوجاهة في وزارات الخارجية لدولهم الاستعمارية؛ ففي فرنسا – مثلا – تبوأ بلاشيير (blachere) منزلة مرموقة، فهو خبير في شؤون العرب والمسلمين، ومثله لويس ماسينيون الذي يعد أكبر المستشرقين الفرنسين المعاصرين، يشتغل بصفة مستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا، كما أنه الراعي الرسمي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر، فضلا عن عضويته بالمجمع اللغوي في القاهرة والمجمع العلمي بدمشق !.[44]

هذا، ويرى بن نبي أن عمل المستشرقين في شقه السياسي يتم من خلال محورين:

المحور الأول: التوظيف السياسي للأفكار: بعد أن اطمأن المستشرقون إلى ببغاوات تعرف بما لا تعرف، وتتكلم بما لا تعقل، يلقنونهم أفكارا ثم يوجهونهم إلى نشرها، حرصوا على تطبيق تلك السياسات في ميدان الواقع، وقصدوا تحقيق جملة أهداف أهمها شغل المسلمين عن النظر فيما يصلحهم، ويرتقي بهم حضاريا من خلال ما ورثوه من دين جار عليه الجامدون ونَكِرَهُ الجاحدون، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ مالك: " وما الحلول التي تعرض

[43]. القضايا الكبرى، ص 169.

[44]. انظر: الاستشراق والمستشرقون، ص 45 و 73 و74 .

علينا في المجال السياسي، مثل البعثية، والبربرية، والإفريقية والشيوعية؛ تلك الشيوعية التي يرعاها الاستعمار ويسهر على نباتها في مدفآته وما ذلك الأدب المطنب في المدح والتمجيد لماضينا إلا وسائل إلفات في المجال السياسي أو في المجال الفكري، حتى يلتفت العالم الاسلامي عن أم مشكلاته، ألا وهي مشكلة حضارته .... ".[45]

فابن نبي يرى أن كل هذه المشاريع الفاسدة التي يروج لها المستشرقون وأذنابهم إنما يراد منها صدنا عن الطريق السوي لبلوغ الريادة وتحصيل الاستقلال الكامل لا الاستقلال الاسمي الشكلي.

من أجل هذا؛ صبوا عصارة فكرهم في هذا المضمار، يقول بن نبي: ".... والمتخصصون في الصراع الفكري يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، ولكن يجب أن نضيف إلى ذلك أن أولئك الأخصائيين ليسوا مجرد مثقفين، يبحثون عن الحقيقة، لأنها حقيقة، ولكنهم يبحثون عن جانب التطبيق منها في مجال المصلحة السياسية، ولعلهم إذا لا ينتظرون وقوع الفراغ الإيديولوجي لاحتلاله، بل يصنعونه هم، وربما يشغلونه مؤقتاً بأفكار سواهم حتى تنتهي، في مرحلة أولى، عملية فصلنا عن أفكارنا بتلك الأفكار الفاصلة الوسيطة ".[46]

لم يكن مالك مهوسا بنظرية المؤامرة، ملقيا للتهم جزافا، بل إن نظرته الثاقبة مبنية على تأمل فاحص للواقع الذي عايشه؛ فقد شهد بنفسه انسياق الجماهير إلى الغرب يستجدونه السياسات الناجعة وعلى رأسها الشيوعية في وقته التي نهشت عقول كثير من المستغربين.

وها هو يسلط الضوء على صفة توظيف الاستشراق لهذه الفكرة في خضم السياسات الاستدمارية؛ فقد لقنوا مثلا الجناح اليساري من الشباب الفكر الماركسي؛ وتقصدوا منه فصله عن الجبهة الإيديولوجية الوطنية، فتحصل لهم تقهقر في حركة النمو في البلد، وتمزق في وحدة الصف المعنوية التي تحول دون موجهة معضلات الاستقلال الصعبة؛ فينشأ عنه زيادة فيها لا تناقص، وبهذا يصبح الشاب كابحا للتقدم يضع عليه خبراء الصراع الفكري

[45]. القضايا الكبرى، ص 177.

[46]. القضايا الكبرى، ص 196.

أقدامهم وقت ما شاءوا؛ لأنهم يتنزهون أن يضعوا أيديهم على هذا الكابح.

وفي المقابل يصب المستشرقون عقار النوم والسلوى من خالص إنتاجهم على فئة الشباب الأخرى؛ فيخلصون إلى عملية ناجحة؛ فجناح من الشباب مصاب بالشلل المضطرب والجناح الآخر مصاب بالشلل المسكن، فالأولون يصيحون ويضطربون، والآخرون في الأحلام غارقون، وفي كلتا الحالين نرى أثر الاستشراق في الصراع الفكري.[47]

كما أن أثرهم يظهر في بعض النخب التي طمحت إلى تحصيل التقدم بامتلاك الأشياء، وهو ما يطلق عليه بن نبي مصطلح التكديس، ولهذا تبني سياساتها على امتلاك الأشياء لكنها تدرك عند أول صدمة أن سياساتها أوهى من بيت العنكبوت.[48]

فابن نبي يولي الفكرة أولوية عظيمة؛ لأن المستشرقين أدركوا أن غرس الأفكار القاتلة[49] في النخب الموجهة يكفي لقيادتها إلى هوة سحيقة بأيدي أهلها لا بأيدي عدوها، مع حرمان شرف الإهلاك الذي تمدَّح به العربي قديما؛ فقال: بيدي لا بيد عمرو!.

المحور الثاني: توجيه الأفكار الذاتية لمصلحة السياسة الغربية: ما تقدم معنا هو توجيه المستشرقين للأفكار التي انقدحت بها أذهانهم، أما الأفكار الإسلامية الحية التي تولدت من قرائح مؤمنة تملكتها الغيرة على الأمة فابتغت النهوض بها؛ فإن معاول الاستشراق وأذنابهم تهوي عليها هدما أو تحريفا لمصلحة الاحتلال.

يقول الأستاذ مالك: " ... يجب أن نقرر مبدئياً هذه القاعدة العامة، ألا وهي أنه عندما يطرح مسلم أو بعض المسلمين مشكلة ما تهم مجتمعهم، فإن هذه المشكلة تكون قد طرحت أو ستطرح عاجلاً في أوساط المتخصصين في هذه الدراسات لحساب وتحت إشراف الاستعمار.

---

[47]. انظر: القضايا الكبرى، ص 196.

[48]. انظر: القضايا الكبرى، ص 178.

[49]. الأفكار المميتة مصطلح للأفكار التي تستورد من الغرب، والأفكار الميتة هي نتاج إرثنا الاجتماعي؛ فالأولى مستوردة والثانية ذاتية. انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 146.

وكلما يتقدم هذا المفكر المسلم أو هؤلاء المسلمون بحل لهذه المشكلة، يسرع من طرفهم أولئك الأخصائيون، لدراسة هذا الحل، فان كان خاطئاً، زادوا في شحنة خطئه بطريقة أو أخرى، وإن كان فيه بعض ما يفيد حاولوا كل جهدهم للتقليل من شأنه، وتخفيض قيمته حتى لا يفيد ..... ".[50]

إن مثل هذا الكلام لو عرض على واقع المسلمين من لدن رشح به فكر بن نبي وإلى يوم كتابة هذه السطور يراه ماثلا عيانا لا يتمارى فيه اثنان؛ فقد نجح المستشرقون أيما نجاح على الصعيدين المذكورين، فغدا حال المسلمين عقب استقلالهم أبأس في بعض النواحي من حالهم زمن الاحتلال؛ لأن الاستدمار وحَّدهم، والاستقلال الشكلي فرقهم أيدي سبا، يقول مالك: " .... إننا نستطيع القول- إذا ما طرحنا جانباً بعض المظاهر من تطوره- أنه كان قبل أربعين سنة أقرب إلى الحل الرشيد لمشكلته وهو مستعمَر، لأنَّ وحدته الروحية أو الإيديولوجية كانت أمتن منها اليوم فهو الآن، وهو مستقل، كأنما يبتعد عن هدفه لأن وحدته هذه قد تصدعت من عملية التقسيم التي أجريت عليه منذ أربعين سنة.

هذا هو الوضع الحقيقي، إذا ما طرحنا جانباً بعض المظاهر الخادعة ... بينما يكشف لنا هذا السير أو التطور منذ ربع قرن على أن المجتمع الإسلامي ضيع فيه، بين ضفتي التاريخ المشار إليها، أثمن ما عنده كزاد طريق، نعني الشعور بوحدة المصير، وضرورة الحل الواحد الذي لا تجزي عنه بعثية، ولا بربرية، ولا نزعة افريقية، ولا شيوعية مصطنعة، ولا خرافات ألف ليلة وليلة ".[51]

وزبدة القول أن يد الاستشراق طالت الثقافة ثم ثنَّت بالسياسة في كثير من بلاد المسلمين، وهذا يدل على خطورة الاستشراق بكافة أجنحته.

إن المتأمل فيما حشدناه من مخاطر للاستشراق لا يعزب عن فكره أن نظرة بن نبي نظرة متشائمة لهذا العمل التخريبي المنظم.

---

[50]. القضايا الكبرى، ص 174.

[51]. القضايا الكبرى، ص 177.

نعم، مقتضى الإنصاف أن نقر بوجود نوع من الخير ضئيل في خضم العمل الاستشراقي، وهو ما لم ينكره حتى مالك – مع تحفظنا من بعض الأسماء –؛ فقال: " ... وبالتالي، ربما وجب علينا أن نستخلص من هذا العرض نتيجة تحدد موقفنا من إنتاج المستشرقين، فنقول أولاً إنه إنتاج لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحياناً يستحق كل التقدير لما يتسم في بعض أصنافه مثل ما خلفه سيديو (Sedillot) أو جوستاف لوبون (Le Bon) أو آسين بلاثيوس (Placios) بالإضافة إلى طابعه العلمي، بطابع أخلاقي ممتاز لا يمكن نكرانه كشهادة نزيهة من طرف شهود نعرف قيمتهم كعلماء ".[52]

ولكنه يقيد هذه الخيرية، لإمكان استغلالها ضد المسلمين أنفسهم كما بينا طرفا منه فيما سلف، يقول مالك: " ... ولكننا نغفل جانباً أساسياً في الموضوع إذا لم نأخذ في حسابنا أن كل ما ينتجه العقل في هذا القرن العشرين الخاضع لمقاييس الفعالية، لا يخلو من بعد عملي قد يستغل في ميدان السياسة والانتفاع حيث تصبح الأفكار، ما سما منها وما كان تافهاً، مسخرة لتكون وسائل افتضاض الضمائر والعقول ".[53]

هذا الحكم من كاتبنا مبناه على ترصد ونظر عميق، وهذا الاستغلال إن لم يتم على يد المستشرق لنزاهته، وهذا نادر؛ فإنه يتم على يد دوائر الاستدمار القائمة على إدارة دفة الصراع الفكري في البلاد الإسلامية.

يقول مالك: " إن الكتب، بغاليها وتافهها، تقع بمجرد خروجها من الطبع، وتقع أحياناً دون أن يشعر أصحابها في أيدي أخصائيين يسخرونها للصراع الفكري، فيصيرونها أدوات للمشاغبة، وللتحلل الأخلاقي، أو مجرد أدوات إلفات وتلهية، ومما نلاحظه أن الكتاب الذي يتعلق بموضوعنا يصدر في عاصمة أوروبية في نفس الوقت مع ترجمته في عاصمة عربية ".[54]

[52] . القضايا الكبرى، ص 193.

[53] . القضايا الكبرى، ص 194.

[54] . القضايا الكبرى، ص 194.

إن ابن نبي لم يكن ممن يصف الداء ويهمل الدواء، بل إنه جاهد طوال عمره لتوصيف الأدوية الناجعة، وقد زبر بقلمه كلمات موجزة بين من خلالها الطريق الصحيح لتلافي مخاطر الاستشراق، وخلاصتها الاجتهاد في شغل الفراغات التي يحبك في فضائها المستشرقون مؤامراتهم، فيقول: " .... إن كل فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكاراً منافية، معادية لنا، فهذه هي القاعدة العامة ".[55]

إن تأميننا لهذه الثغرات هو المنهج الصحيح إلى تحضرنا؛ ذلكم أن استرداد حضارتنا يبدأ بتحرير أفكارنا من أغلالها وخاصة منها الاستشراق، يقول مالك: " إلا أنه يجب أن نضيف له أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية، لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه، ولن يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يتشيد بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج سواء كانت تمت إلى الاستشراق أو الشيوعية ..... وبكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي".[56]

وعليه؛ فمن غير تحرير لفكرنا سيبقينا المستشرقون ومن بعدهم أذنابهم المستغربون دائما في الأسر.

الخاتمة:

نقد الأستاذ مالك بن نبي الاستشراق بشدة ورآه صنو الاستدمار العسكري، ومن خلال تتبع كلامه أمكننا حصر مخاطر الاستشراق عنده فيما يأتي:

- استهلاك وتبديد طاقات الأمة.
- تخدير العقول.
- إعطاء حق الدفاع لمخالفنا.
- رد الفعل الجامح.

[55] . القضايا الكبرى، ص 196.

[56] . القضايا الكبرى، ص 198.

- إلصاق أخطاء المسلمين بالإسلام.
- السيطرة على النخبة في البلاد الإسلامية.
- توجيه السياسات الحاكمة.

والطريق الصحيح عنده لتلافي هذه المخاطر هو شغل كل فراغ فكري يمكن للاستشراق أن يستغله لصالح مخططاته التخريبية؛ فنكون في الساحة فاعلين لا منفعلين.

قائمة المصادر والمراجع:

آرنولد توماس (Sir Thomas Walker Arnold) (ت 1930 ه)

1 . الدعوة إلى الإسلام. ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة العلمية، ط، 1971م.

بن نبي مالك بن عمر بن الخضر (ت 1973 ه)

2 . دَوْرُ الْمُسْلِمِ وَرِسَالَتُهُ فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِيْن.الجزائر، دار الوعي، ط1، 1434ه . 2013م.

3 . الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.الجزائر، دار الوعي، ط1، 1434ه . 2013م.

4 . الظاهرة القرآنية.الجزائر، دار الوعي، ط1، 1434ه . 2013م.

5 . فكرة الإفريقية الآسيوية.الجزائر، دار الوعي، ط1، 1434ه . 2013م.

6 . القضايا الكبرى.الجزائر، دار الوعي، ط1، 1434ه . 2013م.

7 . مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.الجزائر، دار الوعي، ط1، 1434ه . 2013م.

جوهري طنطاوي (ت 1940 م)

8 . الجواهر في تفسير القرآن. القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1347ه.

السباعي مصطفى حسني (1964 م)

9 . الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم). دمشق، دار الوراق للنشر والتوزيع، د، ط.

شاكر أبو فهر محمود مُحَمَّد (ت 1418 ه)

10 . رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1427ه . 2006م.

ابن عاشور مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر (ت 1393 ه)

11 . التحرير والتنوير. بيروت، مؤسسة التاريخ، ط1، 1420ه . 2000م.

قطب مُحَمَّد قطب إبراهيم (ت 1435 هـ)

12 . شبهات حول الإسلام. القاهرة، دار الشروق، ط21، 1413هـ. 1992م.

مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)

13 . صحيح مسلم، مطبوع بهامش شرحه للنووي. خرج أحاديثه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد. القاهرة، دار ابن الهيثم، ط1، 1424 هـ. 2003 م.

الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة (ت 1425 هـ)

14 . أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير . الاستشراق . الاستعمار. دمشق، دار القلم، ط11، 1434هـ. 2013م.

لوبون غوستاف (Gustave Le Bon) (ت 1931 م).

. حضارة العرب. ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ط، 2013م. 15